

البيان في تفسير القرآن

(40) وإن اﷻ بعث محمداً (صلى اﷻ عليه وآله وسلم) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام – وأظنه قال: الشعر – فأتاهم من عند اﷻ من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم " (1). وقد كانت للنبي معجزات أخرى غير القرآن، كشق القمر، وتكلم الثعبان، وتسبيح الحصى، ولكن القرآن أعظم هذه المعجزات شأنًا، وأقومها بالحجة، لأن العربي الجاهل بعلوم الطبيعة وأسرار التكوين، قد يشك في هذه المعجزات، وينسبها إلى أسباب علمية يجهلها. وأقرب هذه الأسباب إلى ذهنه هو السحر فهو ينسبها إليه، ولكنه لا يشك في بلاغة القرآن وإعجازه، لأنه يحيط بفنون البلاغة، ويدرك أسرارها. على أن تلك المعجزات الأخرى موقته لا يمكن لها البقاء فسرعان ما تعود خبراً من الأخبار ينقله السابق للاحق، وينفتح فيه باب التشكيك. أما القرآن فهو باق إلى الأبد، وإعجازه مستمر مع الأجيال. وسنضع بحثاً خاصاً عن معجزات النبي غير القرآن، ونتفرغ فيه لمحاسبة من أنكر هذه المعجزات من الكتاب المعاصرين وغيرهم. القرآن معجزة إلهية: قد علم كان عاقل بلغته الدعوة الإسلامية، أن محمداً (صلى اﷻ عليه وآله) بشر جميع الأمم بدعوتهم إلى الإسلام، وأقام الحجة عليهم بالقرآن، وتحداهم بإعجازه، وطلب منهم أن يأتوا بمثله وإن كان بعضهم لبعض ظهيرا، ثم تنزل عن ذلك فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ثم تحداهم إلى الاتيان بسورة واحدة. وكان من الجدير بالعرب – وفيهم الفصحاء النابغون في الفصاحة – أن

(1) اصول الكافي " كتاب العقل والجهل " الرواية 20. (*)